

كارلوس زافون

سجين السماء

رواية

ترجمة: معاوية عبد المجيد

مكتبة

Telegram Network

2019

منشورات الجمل

رواية

كارلوس زافون

سجين السماء

رواية

ترجمة: معاوية عبد المجيد

مكتبة

Telegram Network

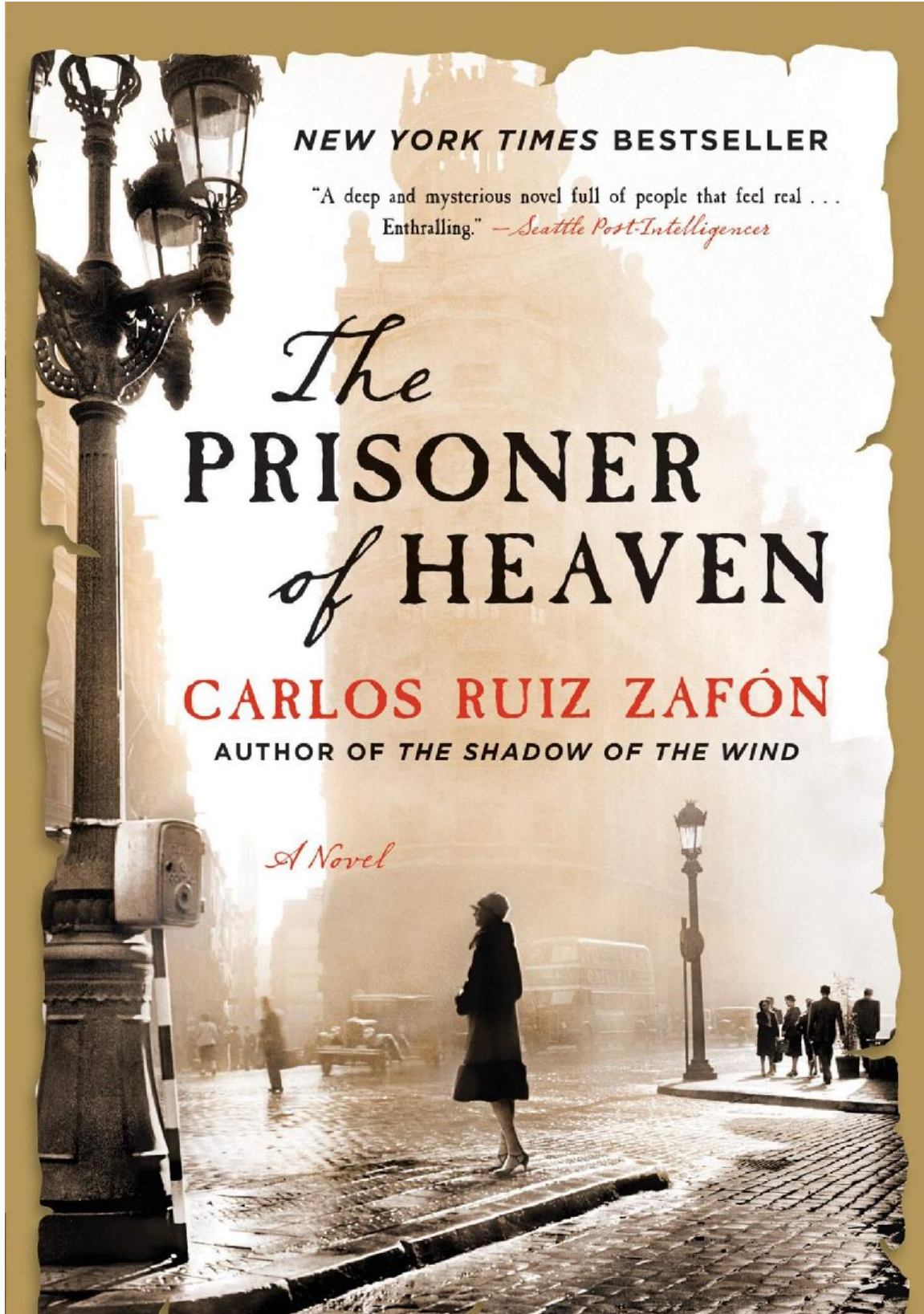
2019

منشورات الجمل

رواية



غلاف الطبعة الانجليزية





معاوية عبد المجيد



مترجم سوري من مواليد دمشق عام 1985.

درس الأدب الإيطالي في جامعة سيينا للأجانب في إيطاليا (2005-2010).

عَلَّمَ اللغة الإيطالية في المعهد العالي للغات، وكلية الآداب، في جامعة دمشق (2010-2012).

حصل على درجة الماجستير في الثقافة الأدبية الأوروبية عن قسم الترجمة الأدبية من جامعة بولونيا الإيطالية وجامعة الألزاس العليا في مولوز الفرنسية (2013-2015).

صدرت له عدة ترجمات من الأدب الإيطالي في العالم العربي:

(ضمير السيد زينو)، إيتالو سفيفو.

(تريستانو يحتضر)، (بيريرا يدعي)، أنطونيو تابوكي.

(اليوم ما قبل السعادة)، إري دي لوكا.

(أخذك واحملك بعيداً)، نيكولو أمانيتي.

(لا تقولي إنك خائفة)، جوزبّه كاتوتسيلا.

(كلّهم على حق)، باولو سورنّينو.

(1900) مونولوج عازف البيانو في المحيط)، ألساندرو باريكو.

(ابنة البابا)، داريو فو.

(صديقتي المذهلة)، (حكاية الاسم الجديد)، (الهاربون والباقون)، (حكاية الطفلة الضائعة)، إيلينا فيرّانتي.

(الشعلة الخفية للملكة لوانا) أمبرتو إيكو.

إضافة إلى قصص للأطفال.

كما أشرف على إصدار ترجمة الأديب القدير عيسى الناعوري لرواية "الفهد" للكاتب الإيطالي جوزيه تومازي دي لامبيدوزا بحلة جديدة، وزاد عليها ملحقات حسب الطبعة الإيطالية الأخيرة. وترجم من الأدب الإسباني رباعية "مقبرة الكتب المنسية" للكاتب كارلوس زافون: (ظلّ الريح)، (لعبة الملاك)، (سجين السماء).

حاز على الجائزة الدولية "جيراردو دا كريمونا" لتعزيز دور الترجمة في البحر المتوسط، في دورتها الرابعة، إيطاليا 2018.

حاز على الجائزة التشجيعية من "جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي" في دورتها الرابعة، قطر 2018.

يدير صفحة [المقهى الثقافي الإيطالي](#) على فيسبوك، بالتعاون مع المترجمة المصرية د.أماني فوزي حبشي.

مقيم حاليًا في مدينة [بيزنسون](#) الفرنسية.

[twitter](#)

الناشر

كارلوس زافون: سجين السماء، رواية، الطبعة النصية الأولى

ترجمة: معاوية عبد المجيد

كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية

محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٩

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤

٥٤٣٨ / ١١٣ - بيروت لبنان

El Prisionero del Cielo Carlos Ruiz Zafón

@ Carlos Ruiz Zafón 2011

@ Al-Kamel Verlag 2019

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany

تويتر

<https://twitter.com/alkamelverlag>

:E-Mail

<mailto:alkamel.verlag@gmail.com>

مقبرة الكتب المنسية

يشكل هذا الكتاب جزءاً من سلسلةٍ روائيةٍ، تركز على «مقبرة الكتب المنسية» كثيمةٍ أدبيةٍ أساسيةٍ: ترتبط هذه الروايات بعضها ببعض عبر الشخصيات والمواضيع المتعددة؛ إلا أن كل رواية منها مستقلة عن الأخرى ومكتفية بذاتها.

لذا ننوّه بإمكانية قراءة روايات السلسلة بغض النظر عن تسلسلها، ما يسمح للقارئ باكتشاف هذه المتاهة ولوج ألغازها من أبواب ومسالك مختلفة تقوده عموماً إلى قلب الحكاية.

لطالما كنت متيقناً من أنني سأعود يوماً ما إلى هذه الطرقات كي أروي حكاية الرجل الذي ضيَّع روحه واسمه بين ظلال برشلونة الغارقة بنوم مُقلِّق في زمن الصمت والرماد. هذه الصفحات مكتوبةٌ بالنار اتقاءً من أهوال مدينة الملاحين؛ كلماتٌ منقوشةٌ في ذاكرة مَنْ عاد من عالم الأموات بوعْدٍ محفوظٍ في قلبه وثمرِ اللعنة. يُرْفَع الستار، ويسكت الجمهور، وقبل أن يهبط الظل - الذي أثقل على مصيره - من المنصة المعلقة، تتصدَّر المشهد مجموعةٌ من أشباح بيضاء، والملهأة على شفاهها، بتلك البراءة المباركة التي يتَّسم بها الواهم أنَّ الفصل الثالث هو الأخير، فيأتي ليقصَّ علينا حكايةً من أجواء الميلاد، وإذ يطوي الصفحة الأخيرة لا يدري بأنَّ حبرَ أنفاسه يجرُّه - ببطءٍ وبلا هوادة - إلى قلب الظلمات.

خوليان كاراكس، «سجين السماء»
(منشورات النور، باريس 1992)

الفصل الأول

حكاية من أجواء عيد الميلاد



برشلونة، ديسمبر 1957

في ذلك العام، قبل أعياد الميلاد، مرّت علينا أيّام مصبوغة باللون الرصاصي ومكسوة بالضباب. وكانت العتمة النيلية تغطي على المدينة، فيما يمشي الناس على عجالة متدثرين بالثياب حتّى أذانهم، وزفير أنفاسهم يرسم ستائر من بخار في أجواء الطقس المتجمّد.

قلّت أعداد الذين توقّفوا عند واجهة مكتبة «سيمبيري وأبناؤه في» في تلك الأيام. ونادرًا ما غامر بعضهم بالدخول ليسألوا عن كتاب ضائع انتظرهم طوال الحياة، والذي كان بيعه - فلنضع الشعر جانبًا - سيساهم حقيقة في ترقية المآلية المزعجة للمكتبة.

- أشعر أنّ هذا اليوم سيكون اليوم الصائب. سيتبدّل مصيرنا هذا اليوم. - أعلنت على أجنحة أوّل فنجان قهوة في ذلك النهار، تفاؤل نقيّ بتلك الحالة السائلة.

رفع والدي عينيه عن المصطبة، إذ كان منذ الثامنة صباحًا يصارع سجلّ المحاسبة ببراعة الممحة وقلم الرصاص. ألقي نظرة على طابور الزبائن الغائبين الذين كانوا يختفون عند المنعطف.

- فلتسمعك السماء يا دانيال. لأنّنا والحال وهذه، إذا فشلت - أشعر أن إعلانات الأعياد، لن يكون لدينا من المال ما يكفي حتّى لدفع فاتورة الكهرباء. لا بدّ لنا من فعل شيء ما.

- البارحة، لمعت فكرة في رأس فيرمين. - قلت - إنه يرى خطّته عظيمة لإنقاذ المكتبة من الإفلاس الوشيك.

- فليُدخلنا الربّ في رحابه مُعترفين ومبلّغين.

اقتبستُ حرفيًا:

- ربّما، إذا زينتُ الواجهة بالسراويل، أقول ربّما، قد تدخل بعضُ الإناث المنعطّشات للأدب والعواطف الجيّاشة، وينفقن النقود، لأنّ مستقبل الأدب - كما يقول الخبراء - متعلّق بالنساء.

وربّما لم تولد بعد تلك الفتاة القادرة على مقاومة الإغراء الريفّي لهذا الجسد الجبليّ. - ألقيتُ.

سمعتُ وقوع ممحاة والدي على الأرض خلف ظهري، فاستدرتُ.

- الكلام لفيرمين - أضفتُ.

ظننتُ أنّ والدي كان سيبتسم لبدعة فيرمين، لكنني حين أدركتُ أنه كمن استيقظ من صمته، رحت أنظر إليه خلسة. لم يكن سيمبيري الأب مستمتعًا بذلك الهذر فحسب، بل ارتسمتُ على وجهه تعابير التمعّن، كما لو أنّه حمل الفكرة محمل الجدّ.

- انظرُ أنت! قد تكون نكرة فيرمين صائبة. - غمغم.

رمقته مشدوها بما سمعت. لعل المصاعب المادية، التي أصابتنا في الأسابيع الأخيرة، أثرت في عقل والدي بشكلٍ خطير.

- لا تقل لي إنك ستسمح له بالتجول بسرأويله داخل المكتبة.

- لا، ليس هذا. بل الواجهة. خطرت ببالي فكرة بينما كنت تتحدث... أعتقد أن الوقت لم يفت بعد لإنقاذ اعياد الميلاد...

رأيتُه يختفي في المستودع الخلفي ليظهر ثانية، مجهّزاً بزيّه الرسمي المُعدّ للشتاء: المعطف نفسه، الشال نفسه، والقبعة نفسها التي أذكرها منذ أن كنتُ طفلاً. كانت بيا تقول إنها تشك في أن والدي لم يشتر ثياباً منذ العام 1947، كما أن كل الدلائل تشير إلى أن زوجتي محقة. ابتسم والدي بطريقة مريبة، وهو يوغل يديه في القفازين، وكانت عيناه توحيان بلمعة صبيانية لا تومض فيهما إلا عند المغامرات العظيمة.

- ساتركك بمفردك بعض الوقت. - أعلن - سأخرج لإنجاز إحدى الطلبات.

- هل لي أن أسألك أين أنت ذاهب؟

غمز والدي بعينه.

- مفاجأة. سترى عمّا قريب.

لحقتُ به إلى الباب ورأيتُه ينطلق بخطى وثقة، نحو بويرتا دل أنخل باب الملاك، طيفاً بين الأطياف الكثيرة في موجة الزحام الرمادية التي كانت تتراكم كالثلج طوال شتاءٍ طويلٍ من ظلٍّ ورمادٍ.

اغتنمتُ فرصةً بقائي وحيداً، فقرّرت أن أشغل الراديو لأتذوّق قليلاً من الموسيقى، بينما كنت أعيد ترتيب الكتب برويّة على الرفوف. كان والدي يرى أنّ تشغيل الراديو في حضرة الزبائن في المكتبة أمرٌ معيب؛ أما إذا شغلته بوجود فيرمين، تراه إمّا يباشر الدممة على الألمان أياً تكن، أو - وهو الأسوأ - يشرع في الرقص على ما يصفه بـ «الإيقاعات الكاريبيّة الشبقة»؛ فيثير أعصابي في غضون بضع دقائق. وعندما بتّ أعني تلك المصاعب العمليّة، توصّلت إلى نتيجة مفادها أنّه ينبغي استنفاد كل السرور الذي تؤمّنه الموجات الميغاهرتزيّة خلال اللحظات النادرة التي لا يوجد فيها أحدٌ داخل المحلّ، ما عداي أنا وعشرات آلاف تلك الكتب المختلفة.

كانت إذاعة برشلونة، في ذلك الصباح، تبتّ التسجيل المقرّصن - الذي أجراه أحد هواة التجميع - للحفلة الخالدة التي أحيّاها عازف البوق لويس أرمسترونغ مع فرقته، ثلاثة أعياد ميلادٍ خلت، في فندق هوتيل ويندسور بالاس ديلا دياغونال. وكان المذيع، خلال الفواصل الإعلانيّة، يتعذّب في تصنيف تلك الألحان عامّةً على أنّها «جيز»، ويؤنّه بأن بعض التشديدات السنكوبيّة لهذا النمط من الموسيقى السفيهة لا يمكن أن تناسب آذان المستمع المحليّ، الذي تصدّع رأسه بأنغام التوناديا والبوليرو ومستهلّ حركة اليهيه التي كانت تهيمن على البرامج الإذاعيّة إبّان تلك الأعوام.

اعتاد فيرمين على القول إنّ الدون إسحاق آلبينيث، لو وُلد زنجياً، لكنّا قد شهدنا ابتكار الجاز في كامبرودون، مثل البسكويت المعبأ في العلبة، وإنّ تلك الألحان - أسوءَ بحمالة الصدر المدبّة التي تختال بها معبودته كيم نوفاك في أحد الأفلام التي حضرناها في العروض الصباحيّة لسينما فيمينال/ الأنثى - كانت تشكّل أبرز الفتوحات النادرة للبشريّة اعتباراً من مطلع القرن العشرين. قضيتُ بقية الصباح بين سحر تلك الموسيقى وعطر الكتب، وأنا أنتعم بالصفاء والرضا الناجم عن عملٍ بسيطٍ ومُنجزٍ على أتم وجه.

بحسب مزاعمه، أخذ فيرمين إجازةً في الصباح لينهي ترتيبات زواجه ببرناردا، المتوقّعة إقامته في أوائل فبراير. وعندما تكلم بالأمر قبل أسبوعين، قلنا له جميعاً إنه كان يتسرّع، وإنّ العجلة لا تحمّد عقباها. حاول والدي أن يقنعه بتأجيل الزواج شهرين إضافيين على الأقلّ، مبرهنًا كلامه بأنّ حفلات الزفاف تقام في الصيف عادةً؛ لكنّ فيرمين أصرّ على ذلك التاريخ مدّعياً أنّه - وهو المتأقلم النمودجيّ مع الأجواء القاسية والظالمة التي تخيم على هضاب الإستريمادورا - كان يتسبّل عرقاً أثناء صيف الساحل المتوسطيّ، شبه الاستوائيّ حسب أحكامه؛ ولا يعتقد أنّ الأعراف الحميدة توافق على احتفاله بالزواج ملطّخاً ببقع من العرق - كالتواجن من حيث الحجم - تحت إبطيه.

كنتُ قد فكّرت أنّ ثمة ما يبعث على الاستغراب من ذلك الاستعجال على الزواج، الذي يبيديه فيرمين روميرو دي توريس، وهو الذي كان رايةً خفاقة للمقاومة المدنيّة في وجه قداسة أمّنا الكنيسة، فضلاً عن المصارف والعادات الطيّبة التي اجتاحت إسبانيا خلال الخمسينات، ملؤها صلواتٌ ونشراتٌ أخبار. ففي أثناء همّته السابقة للزواج، وصلتْ به الحال لتمتين صداقة مع الخوريّ الجديد الكنيسة سانتا آنا، الدون ياكوبو، القسّ المتحدّر من بورغوس، صاحب الفكر المنفتح والأساليب التي تجعله أشبه بملاكٍ سابق؛ وقد نقل إليه فيرمين عدوى الولع اللامحدود بلعبة

الدومينو. كانا في أيام الأحد، بعد الصلاة، يتواجهان في مبارياتٍ تاريخيةٍ في مقهى أدميراي، وكان القسّ يضحك من كل قلبه عندما يسأله فيرمين، بين كأسٍ وأخرى من مشروب أعشاب مونتسيرات، عمّا إذا كان يعرف يقيناً أنّ للراهبات افخادًا، وعمّا إذا كانت – في حال وجودها - طريّة وقابلةً للعضضة كما كان يشك منذ أيام مراهقته.

- أنت تسعى إلى الحرمان الكنسيّ. - كان والدي يؤنّبهِ - لا ينبغي النظر إلى الأخوات ولا لمسهنّ.
- وماذا لو كان الخوريّ أشدّ فجورًا منّي. - يعترض فيرمين - آه لو كان الأمر لا يتعلّق بالرداء...

وبينما كنت أتذكّر ذلك النقاش وادمدم على أنغام بوق المايسترو ارمسترونغ، سمعتُ الجرس المعلق على باب المكتب يُصدر رنينه العذب. رفعتُ نظري متوقّعا أن أرى والدي عائداً من مهمّته السريّة، أو فيرمين مستعدّاً للبدء في دور الظهيرة.

- صباح الخير - قال الصوت، الثقيل والخامل، من عند العتبة.

في انعكاس الضوء، بدا مظهره مثل جذع شجرة جلدتها الريح بسوطها. كان الزائر يرتدي لباساً غامق اللون ذا طراز بائد، ويرسم ملامح عابسةً متكئةً على عكاز. تقدّم خطوةً إلى الأمام، وهو يعرج بشكلٍ واضح. أوضَحَ ضيائه المصباح على المصطبة وجهاً أتعسه الزمان. حدّق إليّ الزائر بضع لحظات، يفحصني بلا تعجّل. كانت نظراته تذكّر بالطير الجارح، صبورةً ومحسوبةً.

- حضرتك السيّد سيمبيري؟

- أنا دانيال. السيّد سيمبيري والذي، لكنّه ليس هنا في هذه اللحظة. أيمكنني القيام بشيءٍ ما لحضرتك؟

تجاهل الزائر سُؤالي وأخذ يتجوّل في المكتبة، يتفحص كلّ شيءٍ، شبراً شبراً، باهتمام لا يتعدّى الشراهة. كان أسلوبه في العرَج يوحي بأنّ الأذى المتواري تحت تلك الثياب أدّى خطيراً بحق.

- ذكريات حرب - قال المجهول، كأنّه قرأ أفكارِي.

و تبعْتُ بأنظاري مسارَ تمشيّطه للمكتبة، متكهّناً إلى أيّ زاويةٍ سيّتجه. وكما توقّعتُ، توقّف المجهول قبالة خزانة الزجاج وخشب الأبنوس، إحدى البقايا المشيّدّة للمكتبة في أوّل تجسيد لها، قرابة العام ١٨٨٨، عندما عاد جدّي الثالث سيمبيري توّّاً من مغامراته في الأراضي الكاريبيّة، وكان حينذاك شابّاً صغيراً، فاسندان المال ليشتري محلاً قديماً للقفّازات ويحوّله إلى مكتبة. وكنا في تلك الخزانة تحديداً قد تعودنا أن نحفظ بالنّسخ الأعلى قدراً، تشريفاً لها.

أقرب الزائر منها ما يكفيه لرسم زفيره على الزجاج. أخرج نظّارة ووضعها على عينيه وشرع يدرس محتوى الخزانة. ذكرني سلوكه بامرأةٍ تمحص وتدقّق بحصيلة البيض في خَم الدجاج.

- جميلة. - غمغم - لا بدّ أنّ ثمنها باهظ.

- إنّها تحفةٌ تخصّ العائلة. قيمتها عاطفيّة، قبل كلّ شيء. - أجبتُ، إخراجاً للتقدير والتقديم للذين أدلى بهما ذلك الزبون الغريب، حتّى إنّّه كاد بنظراته يحسدنا على الهواء الذي نتنّفسه.

أعاد نظّارته إلى محلّها بعد قليل، وتحدّث بنبرة هادئة.

- تبيّن لي أنّ رجلاً، لا يُشَقّ لعبقريّته غبار، يعمل عندكم.

وبما أنّي لم أجب مباشرةً، التفت وسدّد إليّ تلك النظرات التي يشيخ من يقع تحت هدفها.

- إنّني بمفردي، كما ترى. إذا قلتَ لي حضرتك عنوان الكتاب الذي ترغب فيه، بحثتُ لك عنه بكلّ سرور.

استلّ الدخيل ابتسامةً تعني كلّ شيءٍ عدا أنّها ودّيّة، وأوماً برأسه.

- أرى أنّ لديكم في تلك الخزانة نسخة من الكونت دي مونتكريستو؟

لم يكن أول زبونٍ يلاحظ وجود ذلك الكتاب. رويتُ على مسمعه الخطاب الرسميّ المعتمد في مناسباتٍ مشابهة.

- السيّد لديه عينٌ ثابتة. نتكلّم عن طبعةٍ نفيسة، مرقّمة، ومزوّدة بالرسومات المنقوشة بيد آرثر راخام، وقد وصلتنا من المكتبة الشخصية لأكبر مولعٍ بالتجميعات النادرة في مدريد. إنّها قطعةٌ فريدة من نوعها، ومُسجّلة.

أصغي الزائرُ بلا اهتمام، مركّزًا انتباهه على صلابة أطر الرفوف المصنّعة من خشب الأبنوس، وقد أبدى ضجره من كلماتي بكل وضوح.

- بالنسبة إليّ، كلّ الكتب تبدو متشابهة، لكنّ زُرقة الغلاف تعجبني. - ردّ بنبرة ازدراء. - سأخذه.

في ظرفٍ مماثل، كنت سأقفز فرحًا من إمكانية بيع ما قد تكون النسخة الأعلى ثمنًا في محلّنا، لكن أمعائي كانت تتقلّب من فكرة أن تؤوّل طبعةً كذلك في يدي هذه الشخصية. تملّكني إحساسٌ بأنّ أحدًا لن يقرأ حتى الفقرة الأولى من ذلك الكتاب، في حال خروجه من المكتبة.

- إنّها طبعة مكلفةٌ جدًّا. يمكنني أن أعرض على حضرتك، إذا رغبت، طبعاتٍ أخرى من العمل ذاته، حالتها ممتازة وأسعارها معقولة.

يعمد صغار النفوس دائمًا إلى تفزيم الآخرين. رماني ذلك المجهول - الذي كان قادرًا على إخفاء نفسه في رأس دبوس، كما استنتجت - رماني بأشرس ما عنده من نظرات احتقار.

- وأغلقتها زرقاء أيضًا - أضفتُ.

تجاهل سفاهة السخرية في كلماتي.

- لا، شكرًا. أريد هذه. لا يهمني السعر.

أومأتُ بأسنانٍ مشدودة وأتجهت نحو الخزانة. أخذتُ المفتاح وفتح بابها الزجاجي. وشعرتُ أنّ عيون ذلك الدخيل مُسمّرة على ظهري.

- كلّ الأشياء النفيسة مُقفلة بالمفتاح. - غمغم.

أخرجتُ الكتاب وتنهّدت.

- هل السيّد جامعٌ تُحف؟

لنا أن نقول ذلك. حتّى لو لم تكن التُّحف كتبًا.

التفتُ إليه والكتاب بين يديّ.

- وما الذي تجمعه؟

تجاهل الغريب سُؤالي مرّة أخرى، ومدّ يده ليمسك بالكتاب.

قاومتُ رغبتني في إعادته إلى الخزانة، ورمي المفتاح بعيداً. لم يكن والدي ليغفر لي رفض بيعة موفقة كهذه ، نظراً إلى صعوبة الوضع الذي نمرّ فيه.

- سعره خمسة وثلاثون بيسينا. - أنصحتُ قبل أن أعطيه الكتاب، آملاً أن يغيّر الرقم فكرته.

أوماً دون أن يرفّ له جفن، وأخرج ورقة نقدية بقيمة مئة بيسينا من جيب لباسه الذي لم يكن يساوتُ خمسة قروش. تساءل إن كنت بصدد عملة مزورة.

- أخشى أن لا يكون لديّ المرتجع يا سيّدي.

كنت سأدعوه للانتظار لحظة واحدة بينما أهرع لأقرب مصرف وأغيّر الورقة النقدية وأتأكد من صحتها ، لكنّي لم أشأ أن أتركه بمفرده في المكتبة.

- كن مطمئناً. إنها صحيحة. هل تعلم كيفية التأكد من العملة المزورة؟

رفع الدخيل الورقة النقدية إلى عكس الضوء.

- لاحظ الشريط. وهذي الخطوط. والتركيب...

- هل السيّد ضليع بالتزوير؟

- كلّ شيء زائفٌ في هذه الحياة، أيّها الفتى. كلّ شيء، ما عدا النقود.

وضع الورقة النقدية في يدي وأحكم قبضتي عليها، وضرب بكفه على براجمي - سأترك الباقي لزيارتي القادمة - قال.

- لكنّها أموالٌ كثيرةٌ يا سيّدي. خمسة وستون بيسينا...

فكّة.

سأقدّم لك إيصالاً بأيّ حال.

- لا داعي ، فأنا أثق بك.

عاين المجهول الكتابَ بحيادية تامّة.

- إنّه هدية. سأطلب منك شخصياً تسليمها.

تردّدت برهةً.

- لا نقوم بخدمة التوصيل، من حيث المبدأ، لكننا في هذه الحالة سنسلمها شخصياً وبكل دواعي السرور بلا أجرٍ إضافي. هل لي أن أسألك إن كان المستلم في برشلونة أم...؟
- إنه هنا تحديداً. - قال.

كان جمود نظرتة يكشف عن أعوام من غضبٍ وحقد.

- هل ترغب حضرتكم في إهداءٍ أو كتابة ملحوظة شخصية قبل أن أغلف الكتاب؟
فتحه الزائرُ على صفحة العنوان بمشقة. لاحظتُ حينذاك أنَّ يده اليسرى اصطناعية، كأنها قطعة خزفية ملونة. أخرج قلم حبرٍ وكتب بعض الكلمات. وأعاد إليَّ الكتاب واستدار. رأيته يعرج نحو الباب.

- هلاً حدّدت لي اسم المستلم وعنوانه من فضلك؟ - سألتُ.

- كلّ البيانات موجودةٌ هناك - قال دون أن يلتفت. فتحتُ الكتاب وبحثتُ عن الصفحة التي كتب عليها ذلك المجهول:

إلى فيرمين روميرو دي توريس، الذي عاد من عالم الأموات، ويمتلكه مفتاح المستقبل.

تتاهى إلى مسمعي جرس المدخل عندئذ، وحين رفعتُ عينيَّ كان الزائر قد مضى.

هرعتُ نحو الباب وأطللتُ برأسي إلى الشارع. كان المجهول يبتعد بمشيته العرجاء، ليختلط في الأطياف التي تعبر حجاب الضباب النيلي الذي ساد شارع سانتا آنا. كدتُ أناديهِ، لكنني عضضتُ لساني. أسهل ما يمكن فعله هو أن أدعه يمضي في حال سبيله بكل بساطة، لكن الغلبة كانت للغريزة وأصالة انعدام التبصّر والحسّ العمليّ عندي.